الفصل الأخير
(اسمها ريناتا)

ذلك الخط الفاصل بين العتمة والنور عبره في ستة أيام، تلك الأيام التي قضيتها مع الشيخ الذي لا يعرف أسمه ولا هويته، من أين جاء وإلي أين ذهب غيرت في حياته الكثير.

حينما عاد إلي حياته المألوفة التي تركها كان هو من تغير ونظرته إلي كل شيء تغيرت، صار أقوي وأفضل وأرقي، علاقته بالجميع تحسنت علي نحو بات ملحوظا، انضم لعمله الجديد في المستشفي وأبلي فيه بلاءا حسنا شهد له الجميع كما أنه قد انضوي في التحضير لرسالة الدكتوراة التي ماطل فيها كثيرا بل وشجع (شهيدة) علي دراسة الماجستير كذلك ووعدها بأن يحضر خادمة مرة واحدة أسبوعيا حتي يتسني لها الوقت اللازم للدراسة دون ان تهمل في بيتها او يؤثر علي عملها

بالنسبة لعيادتها الخاصة فقد بدأ يصبح لها روادها المميزون من الجيران ومع الوقت بدأت تكتسب اسما قويا،حرص هو بناء علي نصيحة (شهيدة) أن يجعل يوما مجانيا كل إسبوع للكشف وذلك حتي يسبغ الله خيره علي الجميع.

حياته مع الله كتب لها ميلاد جديد، صار بصره معلق بساعة الحائط علي الدوام في إنتظار الصلاة بعد الصلاة، بدأ يشعر باللذة في غض بصره وفي حفظ فرجه والعجيب ان شهوته ظلت كما هي وان استحوذت (شهيدة) عليها كلها.

قالت له إبنته (هينا) وهي تلاعبه مرة:

- أبي ، أريدك ان تحضر لي زوجا ؟

ضحك من كل قلبه لبرائتها بنت الاربع سنوات وهو يسألها:

- زوجا يا (هينا) أنت اربع سنوات فقط ،فكيف ستتزوجين ؟

- عادي، سنأخذ غرفتي لنتزوج ويمكن ل (عظيم) النوم معكم أنت وأمي

- حسنا وما شكل زوجك الذي تريديه مني ؟

- أريده شبهك يا أبي

أحتضنها وهو يكرر ضحكه ، لو كانت قد قالت له عبارتها منذ شهور لتضايق من أنها تريد زوجا شبهه، فقد كان أبعد ما يكون عن صورة الزوج الذي يتمناه لإبنته ولكنه الأن يشعر بالرضا عن ذاته ولم يتضايق من عبارتها، تركتها وذهب ليلاحظ (عظيم) الذي أنهمك في تركيب بعض الأشياء المتناقضة مع بعضها البعض ليسأله :

- عظمة الملك (عظيم الأول) يبغي أي مساعدة مني

اجابه عظيم في جدية:

- نعم أيها الجندي، أريد صنع سيارة مقاتلة حتي أغزو بها العالم.

نظر (عدنان) لساعته وهو يقول في تعجب :

- الساعة الأن الثانية، هل يمكن ان نؤجل غزو العالم لما بعد الغداء ؟

- حسنا أيها الجندي، الغداء أولا

شعر بالسعادة وهو يلاحق أطفاله بناظريه وهما يعدوان تجاه مائدة الطعام، علاقته بهما تحسنت كثيرا وود لو لم يسافر من البداية وان يعوض الوقت الذي فقدوه اياه معهم في السنين القادمة، بدأت حتي (شهيدة) تشعر بالغيرة من اهتمامه الزائد بأولاده ولكنها اخبرها وهو يلثم يدها قائلا :

- أحبهم لأنهم منك يا (شهيدة)

قديما قالوا لا تعبدوا الله ليعطي بل إعبدوه ليرضي فأن رضي أدهشكم لعطائه، وأصبح (عدنان) يوقن أن الله قد رضي عنه لأنه رضاه بما وهبه، أصبح يحب (شهيدة) حقا ويعجب بكل ما يفعله اولاده، صار عمله بالنسبة لي أفضل مما تخيل وسارت معه الأمور علي أفضل مما خطط له، كانت مشيئة الله وأقداره قد سارت به إلي خير مما أبتغي.

بين حين وأخر كانت تواتره صورة (ريناتا) ويتسائل أين هي الأن، دعا لها الله في صلاته بالرحمة والتوبة وبالخير الكثير، لم يكرهها ويشفق عليها في نفسه كثيرا كثيرا، هو كان يعرف الطريق إلي الله ولكني ضله وتركه بإرادته ولكنها لا تعرف الله أو الطريق إليه وكانت تحتاج فقط من يصطحبها له بإرادتها أو حتي عنوة حتي تجده.

هي لديها قلب قد يكون أفضل منه، لم تترك كلبا تزهق روحه كي تنفذ هي بحياتها ، بل ضحت بحاضرها كله في سبيل كلب ضعيف لا ولي له، قال السلف أن إمراة من بني إسرائيل ستدخل النار في قطة حبستها فلا هي أطعمتها ولا

تركتها تأكل من خشاش الأرض، فماذا عن تلك الباغية من بني الأصفر ألا تستحق أن توضع في ميزان رحمة الله لرحمتها بكلب.

حاول تحسس اخبارها، أرسل لها رسائل عدة ولكنها لم تجيبه، مع الوقت بدأ يأتيه رد ولكن من رجل ما أبلغه انه اشتري هذا الخط الخاص بالجوال، ولا يعلم شيئا عن صاحبة الخط الأولي.

حاول أن يعرف كيف يصل لها، كتب اسمها عدة مرات علي الأنترنت فلم يطالعه شيئ، قبل أن يستشير صديقا له فيخبره أن هناك مكتب تحريات خاصة بالصين يعمل في تقفي أثر المفقودين ويمكن لهم العثور عليها لقاء مبلغ زهيد

دفع المبلغ عن طيب خاطر ومنحهم صورة لها ثم انتظر إسبوعا قبل أن يأتيه ردهم أن الفتاة المذكورة قد سافرت من (سلطنة عمان) منذ وقت قصير عائدة مرة أخري إلي (الصين) حيث تعرضت للإعتقال هناك لفترة علي يد سلطات الأمن الصينية قبل أن يطلقوا سراحها وهي تعيش الأن في مدينة (شنغهاي) الصينية وتعمل في مدينة ملاهي (ديزني لاند) الصينية

شعر بأنه مدين لها، كما انه قد حصل علي فرصة جديدة ، هي أيضا تستحق فرصة جديدة بالحياة، قام بحجز تذكرة لنفسه إلي الصين وسافر علي الفور هناك، لم يكن العثور عليها وسط مدينة الملاهي شيئا سهلا، ولكنه بعد بحث دام نصف يوم كامل ، وجد ضالته أخيرا، كانت تقف هناك وتعمل بائعة علي ماكينة غزل البنات، ترتدي فستانا ورديا وتعكص شعرها علي هيئة ذيل حصان، بدا ان عملها

الجديد متنافرا مع ما كانت تفعله من قبل، كانت مرحة وودوة مع الأطفال حتي أنه تصور أنها ستكون أما رائعة بالمستقبل، كان كلبها الذي رأه بالصور قريبا منها يلعب ويلهو، آه منه ذلك المحظوظ لو يعلم انها باعت حياتها من أجله لعبدها حبا .

في وسط حركاتها المحمومة لمحته من بعيد، دققت النظر وهي تنظر له بعجب وتتأكد من شخصه، فأقترب منها ببطء وعلي شفتيه شبح إبتسامة تتصاعد

حينما رأته تحولت دهشتها إلي فرحة غامرة وهي تصيح في فرح :

- (عدناان) ... (عدنان)

انطلقت تعدو نحوه تاركة العربة والأطفال وكلبها يعدو ورائها وهي تفتح ذراعيها لتحتضنه وخشي هو من إحتضانها له فأخذ حقيبة يده ووضعها أمام صدره حتي يحول بينها وبين ذلك، ظنته في البداية متضايق منها فقامت بمط شفيتها مثل جراء الكلاب الصغيرة وهي تقول:

- هل أنت متضايق مني؟

نطقت عبارتها بالانجليزية المكسرة وتعجب أنها قد نجحت أخيرا في تعلم اللغة قبل ان يقل لها :

- جيد انك تعلمت الأنجليزية قليلا

أخرجت هاتفها المحمول لكي تشغل التطبيق الذي تحمله ولكنه اوقفها بإشارة من يده، كان قد أعد بضع بطاقات عليها عبارات أراد قولها لها باللغة الصينية ، فأخرجها من حقيبته وهو يفتح أولها ليريها اياها كانت تقول :

– في البداية أنا أسف علي أي حزن أو ضيق سببته لك.

ابتسمت وهي تهز رأسها موافقة علي كلامه قبل ان يخرج البطاقة الثانية وكان قد كتب بها :

– لقد وجدت نفسي أخيرا وأريد أن أعوضك وأساعدك أن تجدي نفسك.

ضحكت وهي تشير إلي جسدها بمعني أن نفسها موجودة، فأخرج البطاقة الثالثة وكان قد كتب عليها :

– هذه الحقيبة مني لك هدية.

منحها حقيبته السوداء الصغيرة ففتحها بفضول لتجد كميات من النقود من فئة الدولار الأمريكي مصفوفة الي جوار بعضها ففغرت فاها وهي تشير له قائلة بما معناه :

– لماذا ؟

لم يجبها بشيء ، فلم تكن معه بطاقة تفسر ما يريد قوله فأشار لها إلي السماء وصمت، نظرت للسماء وهي تتأملها في براءة قبل أن تنظر له وتخرج لسانها المعهود ، ثم تهرع لتضع الحقيبة داخل عربتها وتعود وهي تحمل حقيبتها التقليدية التي تحملها علي ظهرها وتمنحها له، كانت تعطيه إياها هدية بما بداخلها، ضحك